

## الشعر العربي والشعر العربي الإفريقي

(دراسة مقارنة)

أحمدو سردونا  
جامعة مروا - الكامبيرون

### مقدمة

نشأ عبد الله بن فوديو في منطقة بلاد السودان، وكان ممن إطلق لقب "رب السيف والقلم" عليه وذلك على حقيقة الحال وليس على سبيل الزعم والادعاء؛ لأنه كان وزيراً لأخيه عثمان بن محمد، ومساعداً له في تسيير أمر المملكة الإسلامية التي أقامها في سكوتو حيث كان يقوم بواجب منصبه نحو أمور سياسية وإدارية وجهادي؛ ثم إن شاعرنا من جانب آخر كان صاحب دواوين شعرية ومؤلفات متنوعة في العلوم العربية والإسلامية.

ألف عبد الله بن فوديو في كل فن من الفنون العربية والإسلامية ما لا يقل عن كتاب أو كتابين حتى أخذ البعض يلقبونه بنادرة الزمان وبـ(العربي السوداني) لكثرة ما صنف باللغة العربية. سيتناول هذه الدراسة قصيدة من بين قصائده الكبرى في ديوانه "تزيين الورقات بجمع بعض ما لي من الأبيات"؛ هذه القصيدة الجيمية التي قال عنها بعض الباحثين: (ولاشك أن هذه القصيدة من روائع عبد الله الشعرية لجزالة ألفاظها وعمق معانيها وصفاء لغتها)<sup>1</sup>. تم اختيار هذه القصيدة لإجراء دراسة تحليلية مقارنة بهدف التعريف بقيمة الإنتاجات الشعرية الموجودة باللغة العربية في منطقة جنوب الصحراء أولاً، وثانياً بهدف تقريب المسافة بين

<sup>1</sup> الفن الشعري في تزيين الورقات، عيسى ألبى أبو بكر، شارع ابن دومقوفر، عتيق صكتو، نيجيريا، 2003م، ص15.

القرء العربية في العالم العربي والعالم الإسلامي، وثالثاً لبيان ما تحتوي عليه القصيدة من ثروة نادرة في اللغة والبلاغية كما أخبر عنه صاحب القصيدة بنفسه. وذلك لأن الإنتاجات العربية الإفريقية في حاجة ماسة إلى من يُعرف الناس بها سواء كان ذلك في العالم العربي أو في العالم الإسلامي لتتمكن من الخروج من عزلتها القومية إلى عالم أوسع.

### المحور الأول: طبيعة الدراسات الأدبية المقارنة

تسعى الدراسات الأدبية المقارنة إلى تحقيق غايات كثيرة منها؛ تتبع المسارات التي انتقلت عن طريقها التأثيرات الأدبية من أدب لآخر أو من كاتب لآخر أو صورة من الصور من أدب إلى آخر، وإلى غير ذلك، وفي مجال الدراسة التي نحن بصددھا فإنھا تسعى إلى تتبع تأثير الصور الفنية للشعر العربي الأصيل على الشعر الإفريقي المكتوب باللغة العربية في منطقة جنوب الصحراء، وذلك بهدف تمثين العلاقات بين الأمتين؛ العربية والإفريقية. وكما تسعى الدراسة أيضاً إلى البيان بأن الأدب العربي الأصيل والأدب الإفريقي المكتوب باللغة العربية في منطقة بلاد السودان أدبان صالحان للإجراء المقارنة بينهما بغية تعزيز روح التعارف بين الأمتين من الناحية العلمية والثقافية تكملة لتعارفهما الوثيق في مجال العقيدة والدين، وكما تسعى الدراسة إلى معرفة الأسباب التي تكمن وراء التشابه والاختلاف في الأدبين بغية توسيع مجال الاستمتاع الأدبي عند المبدعين والقراء معاً، وفضلاً من ذلك كله تسعى المقارنة التي نقصدها اليوم إلى الوصول إلى نظرية أدبية أكثر رحابة وأوسع إنسانية وأكبر انفتاحاً على إنتاج الآخرين.

وأما عن مفهوم المقارنة فإنه يقصد به "المقارنة" أو بالدراسة المقارنة؛ هذا الفرع من فروع المعرفة الذي يتناول بالدراسة أدبين أو أكثر بحيث ينتمي كل أدب إلى أمة أو قومية غير الأمة أو القومية التي ينتمي إليها الأدب الآخر؛ غير أن مدارس المقارنة تختلف في تعريف هذا العلم وفقاً لمفاهيمها إلى آراء عديدة نذكر من أهمها قولهم بأن الأدب المقارن هو: (دراسة الأدب القومي في علاقاته

التاريخية بغيره من الآداب كيف اتصل هذا الأدب بذاك الأدب، وكيف أثر كل منهما في الآخر. وماذا أخذ هذا الأدب وماذا أعطى. وعلى هذا فالدراسة في الأدب المقارن تصف انتقالاً من أدب إلى آخر، قد يكون الانتقال في الألفاظ اللغوية أو في الموضوعات أو في الصور أو في العواطف والأحاسيس أو في رأي معين رآه أديب من الأدباء فقلده وجرى عليه أدباء آخرون في آداب أخرى<sup>2</sup>. يعتبر هذا التعريف من ضمن التعريفات التي تمثل مفهوم المدرسة الفرنسية المقارنة أم المدارس النقدية والتي يرجع إليها الفضل في تأسيس وتأسيس الضوابط العلمية لإجراء الدراسات المقارنة في الآداب، غير أن الكاتبة سيعتمد في دراسته على المدرسة الأمريكية المجددة لمفهوم المقارنة، والتي أتت بكثير من التوسع والتحرر في الفكر المقارن ومناهج البحث فيه.

ويتحدد مفهوم المقارنة وفقاً للمدرسة الأمريكية في قول أحد زعمائها: (يدرس الأدب المقارن الأدب مستقلاً عن حواجز السياسة والجنس واللغة لا يمكن أن ينحصر في منهج واحد. ولا يمكن للمقارنة أيضاً أن تقتصر على العلاقات التاريخية الفعلية، لأن ثمة ظواهر متشابهة في اللغات أو الأجناس الأدبية ذات قيمة كبيرة رغم أنها لا ترتبط تاريخياً، مثل دراسة التأثيرات التي يمكن اكتشافها بالقراءة أو ما يماثلها)<sup>3</sup>. ويقول أحدهم في موضع آخر هو: (دراسة الأدب فيما وراء حدود إقليم واحد، ودراسة العلاقات بين الأدب ونواحي المعرفة الأخرى بما فيها الفنون الجميلة والفلسفة والتاريخ، والعلوم الاجتماعية والعلوم التجريبية والديانات وغيرها)<sup>4</sup> على هذا يتبين لنا بأن المقارنة تعني وفقاً لمفهوم هذه المدرسة الأمريكية المتحررة: دراسة العلاقات بين أدبين قوميين أو أكثر بدون اعتبار لاختلاف اللغة أو الصلات التاريخية بل إن مفهوم المقارنة تتجاوز مجال دراسة أدبين قوميين أو أكثر، لتشمل مجالات العلوم الأخرى مثل الفن والنحت والديانة وغيرها.

<sup>2</sup> طه نداء، الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، 1991م، ص 20.

<sup>3</sup> أحمد الطاهر مكي، منشورات كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، بدون تاريخ النشر، ص 47.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 49.

انطلاقاً من هذا المفهوم، نريد أن ندرس الشعر العربي الإفريقي المكتوب باللغة العربية دراسة مقارنة لافتقاره للمكانة العلمية المناسبة له في مجال الدراسات الأدبية العربية اعتقاداً منا بأن القليلين الذين يعرفونه يقولون: إنه شعر ساذج حديث النشأة قليل التجربة لا يرتقي إلى الرتبة العلمية المناسبة التي تؤهله للدخول في المجالات النقدية هذا ما جعلهم لا يقدرونه حق التقدير؛ وفريق آخر من الأدباء والقراء في العالم العربي والإسلامي يجهلون وجوده على الإطلاق، وإذا حدثهم عنه استغربوا من حديثك وعللوا ذلك بعلل كثيرة كأن لسان حالهم يقول لك: أليس فيما بين أيدينا من الشعر العربي الأصيل ما فيه الكفاية؟ وقد ينكر البعض تضمن شعر العربي الإفريقي للعناصر الفنية والعلمية المؤهلة له بالدخول في مجال التحليل والنقد فضلاً عن المقارنة. وفي هذا يقول أحد الباحثين متحدثاً عن الإنتاج العلمي والأدبي في غرب إفريقيا: (ورغم ضخامة هذا الإنتاج العلمي والأدبي لم يتعرف المتعلمون على كنوزه سوى قليل ولم يقف العلماء على كثير من آثاره، لأنه ظل حبيس الحفائب والصناديق، فأكلت منه الأرضة والصراصير والفئران ما أكلت، وأتلفه الدهر بمطره وحرارته ورطوبته ما أتلف، إلى أن جاءت حركة البحث العلمي، فعزم بعض أبناء المنطقة على الوقوف عليه بالدراسة والتحقيق)<sup>5</sup>. ولما كان تتبع التأثير والصور والموضوعات من أدب إلى آخر مجالاً من مجالات الدراسات الأدبية عامة والمقارنة بالخصوص اعتمدت دراستنا عليه لتتبع تأثير الشعر العربي على الشعر الإفريقي لدراسته، وهي ظاهرة أدبية واضحة بين الأدبيين؛ وفي هذا يقول أحد الباحثين: (ولما كان الشعر أبرز فنون الأدب العربي، فلم يجد الأفارقة بدأً من التأثير بالشعراء العرب، والنسج على منوالهم فكرة وأسلوباً، مع إبراز أصالتهم الفكرية ومظاهر بينتهم في روائعهم الشعرية)<sup>6</sup> على هذا أقول بأن الشعر العربي الإفريقي رغم اتحاده مع الشعر العربي الأصيل في اللغة كان متميزاً عنه بأصالة فكرة مبدعيه وبخصائص البيئات التي نشأ فيه هذا الأدب.

<sup>5</sup> عمران كبا، الشعر العربي في غرب إفريقيا، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

إيسيسكو، 2011م، ص5.

<sup>6</sup> المرجع السابق ص5.

ويعرف الشعر العربي الإفريقي الدكتور كبا عمران بقوله هو: (الشعر الذي نظمه الأديب الإفريقي بمنطقة السودان الغربي على نسق أوزان الشعر العربي الأصيل للتعبير عن رؤيته الخاصة في الحياة كي يتأثر به الآخرون)<sup>7</sup>؛ هذا التعريف من أصح تعريفات الشعر العربي الإفريقي غير أنني ألاحظ بأنه تعريف جاء مراعيًا المنطقة التي أجرى الباحث فيه دراسته، ألا وهي دول غرب إفريقيا التي تشتمل على خمس عشرة دولة ولم يتوسع للمناطق الإفريقية الأخرى.

والتعريف الموضوع على هذا الشكل لا يسمح لمن كان خارجاً من هذه الحدود بالدخول فيه بسهولة؛ لذا أقول إن الشعر العربي الإفريقي هو هذا: الشعر الذي نظمه الأديب الإفريقي في إحدى مناطق القارة السوداء على نسق الشعر العربي الأصيل معبراً عن تجربته في الحياة. ولعل هذا التعريف أن يفسح المجال لكل من كان في غرب أو في وسط أو في جنوب القارة السوداء ليجد مكانته في هذه المائدة الأدبية. إن تأثر شعراء الإفريقيين بشعراء العرب في نظم الشعر وقع بلا شك، عبر المقررات الدراسية التي اعتمد عليه كل واحد منهم في منطقتهم لتكوين ذاته الشاعرة واعتمد عليه أيضاً في تصقل موهبته الشعرية؛ لما كان الاتصال المباشر بشعراء العرب غير متاح للجميع وخاصة في الوقت الذي كانت وسائل الاتصالات المرئية أو المسموعة أو المكتوبة ومواقع التواصل الاجتماعي غير متوفر في حياتهم اليومية. كانت المقررات الدراسية خيرة وسيلة وخير مصدر للشاعر الإفريقي للوصول إلى عالم الشعر خاصة وإلى كل ما هو عربي فصيح عامة، فمن خلال تلك المقررات تعرف كل شاعر على الموضوعات الشعرية وأغراضها والأساليب العربية التي تؤهل المبدعين للوصول إلى مرادهم.

تنوعت المقررات الدراسية من منطقة إلى أخرى غير أنها لا تكاد تختلف في أمهات الكتب العربية. لذلك كان معرفتك لطبيعة الشعر العربي الإفريقي متوقفاً على معرفتك للمقررات التي اعتمد عليها شعراء المنطقة، وجعلوها مصدراً لهم في أشعارهم ومعياراً لهم في إنتاجهم الأدبي، تحدث الدكتور كبا عمران عن هذه

<sup>7</sup> المرجع السابق ص 59.

المصادر بالدقة والتفصيل<sup>8</sup> ثم صنفها إلى لغوية وأدبية وشرعية، غير أني سأركز على المقررات اللغوية والأدبية لشدة اتصالهما بموضوع دراستنا معتبراً المقررات الشرعية المنظومة منها والمنثورة مقررات تكميلية للملكة الفنية عند الشاعر.

فمن خلال المقرر الدراسي المتضمن الشعر الجاهلي في كتاب: "مختار الشعر الجاهلي"<sup>9</sup> وجد الشعراء الإفريقيون طريقة استخدام الألفاظ الجزلة والبحور الطويلة في أشعارهم، وكما تأثروا به في الوقوف على الأطلال والبكاء عليها وافتتاح القصيدة بالغزل ثم الخروج منه بتلطف حسن إلى الغرض الأساسي للقصيدة؛ من مدح أو افتخار أو نحوه. ومن هذا النموذج نقرأ قصيدة عبد الله بن فوديو في المدح حيث يقول:

عج نحو أزواج الأحبة من مج      واشرب من الأنشاج ماء الزعيج  
ثج الدموع على منازلهم بها      واشف الجنان من الهموم الدمج  
قف عند ها سل من بها فعسى تجب      حوجاء أو لو جاء ترضي من شجي

<sup>8</sup> في اللغة: الأجرومية للإمام ابن أجيروم وشرحه "التحفة السنية" لمحمد محيي الدين وملحة الإعراب للإمام الحريري، وقطر الندى وشذور الذهب لابن هشام والألفية ولامية الأفعال لابن مالك، وانفرد أهل السنغال بدراسة احمرار الألفية لابن بونه، والمقدمة الككية للشيخ مورخ كمب، وسعادة الطلاب للشيخ أحمد بمبا الخديم كما انفرد أهل نيجيريا بدراسة منظومات الشيخ عبد الله بن فودي: كالبحر المحيط في النحو، والحصن الحصين (ألفية في الصرف)، واللؤلؤ المصون، وفتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي. وبعض مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي وأتباعه. في الأدبيات: الشعراء الستة الجاهليون للشنتمري أو المعلقات، ولامية العرب للشنفري، ولامية العجم للطغرائي، ولامية الورد لابن عمر، وقصيدة "باننت سعاد" لكعب بن زهير، ومقصورة ابن دريد، ومدائح البوصيري في ديوانيه: البردة والهمزية، ومدائح أبي زيد الفاززي في ديواني العشرينيات والوسائل المتقبلة، وتخميم هذا الأخير لابن مهيب، ونيل الأمانى المعروف بالدالية للإمام أبي علي الحسن، والخزرجية في العروض لعبد الله الخزرجي الأندلسي، ومقامات الهمذاني، ومقامات الحري ري، وعقود الجمال للسيوطي، وتحفة النظار للرحالة المغربي ابن بطوطة، والأرجوزة الشمقمقية لأبي العباس. أحمد الونان. وعند أهل غانا: البدر المنير في علم التعبير لأبي العباس أحمد ابن نعمة وانفرد أهل السنغال وما جاورها بـ: تبصرة الأدهان في نكت علم ال بيان لابن بونه، وعقود الجمال للإمام السيوطي، وتلخيص المفتاح للخطيب القزويني وكلها في البلاغة.  
<sup>9</sup> مصطفى السقا، مختار الشعر الجاهلي، المكتبة الشعبية، 1959م: يشتمل الكتاب على مختار أشعار ستة من كبار شعراء الجاهلية.

ثم يقول بعد ذلك ليخرج من هذه المقدمة:

دع عنك ذا عد للذي منع الكرى  
من قد سبا قلبي فتاه بحبه  
لا بن السرى لا تسر سير الدعلج  
فتوى لديه فلا أسير ولا يجي

ومن هذا النموذج نقراً للشاعر عبد الرحمن باه من غينيا حين يقول:<sup>10</sup>

أيا سلمى ألام تقاطعيني  
وطالت بي ليالي واعترتني  
وأيم الله حبك قد براني  
هموم هيجت بي مت أعاني  
دعي هذا التدلل تعف عني  
وإن أزمعت صرمي وامتهاني  
فهل لي مطمع في الوصل يوماً  
فيصفو الجو في نيل الأمانى

افتقر المقرر الدراسي في بلاد السودان من روائع الشعر الأموي عامة وشعر النقائض خاصة خلو الشعر العربي الإفريقي في مجمله من فن النقائض، وقل مثل ذلك في الشعر العباسي إلا ما كان متصلاً بفن المقامات. ومن خلال المقرر الدراسي المتضمن لفن المديح النبوي في كتاب "النوافح العظيمة في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية للفلزاني"<sup>11</sup>، ومن كتاب "بردة البوصيري" نجد أشعاراً كثيرة في هذا الغرض، ومنه قول محمد الطاهر التليبي في المديح النبوي:

يا سيدا قبل الخلائق ساجدا  
سماك ربك أحمدا ومحمدا  
يا سيدا أنت المناجى سرمدا  
يا سيد السادات جئتك قاصدا

نرجو رضاك ونحتمي بحماك

من نور وجهك للصبح تنفسا  
سجدوا إليك الأنبياء بمقدس  
وبفضل جودك كل ليل تعسعسا  
أنت الذي بنورك البدر اتسعا  
والشمس مشرقة من نور بهاك<sup>12</sup>

<sup>10</sup> كبا عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، مرجع سبق ذكره، ص 289.

<sup>11</sup> مرجع أساسي في فن المديح النبوي؛ صدرت طبعة جديدة من مطابع الزهراء للإعلام العربي، 2004م.

<sup>12</sup> أحمد تابوي، مختارات من الأدب التشادي باللغة العربية؛ منشورات ندوة كتاب التشاديين، أنجamina، 2009م، ص 49.

ومن هذا الغرض نجد قول عبد الله بن فودي:

بسم الإله بدأت قولي شافعا  
بمديح خير العالمين وصادعا  
مستقهما نيل الوصول وذا دعا  
هل لي مسير نحو طيبة مسرعا  
لأزور قبر الهاشمي محمد<sup>13</sup>

فمن خلال ما سبق الإشارة إليه من أمثلة ونماذج يتبين جليا بأن الشعر العربي الإفريقي قد تأثر بالمقررات الدراسية التي وصلت في بلاد السودان إلى حد كبير؛ فهذه آثار باقية وجزلية لمن تأملها بالدقة ومع ذلك ظل محتفظا بأصالته وثقافته شخصيته، وذلك عند ما تتأمل الشعر العربي الإفريقي وتجده خاليا من الهجاء. يرجع سبب خلو الشعر العربي الإفريقي من الهجاء والغزل الصريح عند الأقدمين مع توفر الغرضين في الأشعار العربية كون الشعراء علماء وقدوة في بلادهم، وهم في المقام الأول أهل الفقه والتوحيد وأئمة المساجد والجموع؛ هذه المنزلة العلمية تقيدهم وتمنعهم الخوض في بعض المسالك القولية.

### المحور الثاني: عرض وتحليل القصيدة

يسعى هذا المحور إلى بيان ما تضمنته القصيدة من عناصر الجمال المتطلب في كل إنتاج شعري سواء كان ذلك من ناحية الشكل أو من ناحية المضمون؛ غير أنني سأركز على الناحية البلاغية التي قصدها الشاعر بنفسه في المقام الأول قبل كل عنصر جمالي آخر. كان تزيين القصيدة بالبلاغة العربية مهما لدى الشاعر لما كان يستشعر من شدة احتياج الناس إلى هذا الفن العربي الأصيل في بلاد السودان عامة وفي إنتاج الأدباء خاصة لأنه من أهم الأدوات التي يجب على الدارسين والمبدعين من الشعراء والكتاب اتقانها، كان هذا في - غالب الظن - غرضه من تحلية قصيدته بجميع مسائل علم البلاغة. وإليك القصيدة وهي مؤلفة من أربعة وستين بيتاً على البحر الكامل:

<sup>13</sup> عمر محمد بوي، توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات، ت: بدون، ص 16.



عج نحو أضواج الأحبة من مج	واشرب من الأنتساج ماء الزعبيج
ثج الدموع على منازلهم بها	واشف الجنان من الهموم الدمج
قف عندها سل من بها فعسى تجب	حوجاء أو لو جاء ترضي من شجي
وإذا مررت مرت حي حيهم	وانشر عليهم لؤلؤا وزيرج
كم لي أبا بآباته فيهم وكم	خلصاء لم أك بينهم بمزليج
ومدارس أضنى بحب شهودها	فيها نجاح حوائج المتحوج
وججاج علماء يخلب رفدهم	كل كبحر في العطا متموج
ولهم ككان ومبتدا في جارهم	عمل لغيرهم كلم أوفي يجي
ولربما عملوا كما من كف من	يعدوا وتقوية الضعيف الملتجي
ومواطن أشتجي لفقدها روابها	ليست سخارج في هواء سجسج
دع عنك ذا عد للذي منع الكرى	لابن السرى لا تسر سير الدعلج
وادرع دلاص العزم فوق قلاصه	بمزداد صير في الموامي متلج
بسرى وادلج معا وتهجر	وتأوب حتى تزيل شجي الشجي
بزيارة اللذ زار طيبة بعد أن	قد زار مكة في وفود الحجج
من قد سبا قلبي فتاه بحبه	فتوى لديه فلا أسير ولا يجي
شمس الضحى بزغت بغرب فانتحت	للشرق تشرق في قریش وخزرج
متقنن متبحر في علمه	متعطف متلطف للمعرج
سجح طليق الوجه هين لين	للمسلمين ومزدر للعمهج
شجر إذا نزلت عليه سفنة	لم تر تحل عنه فقد الخرفج
من جاءه يشكو العوائص ينثي	عنه بقلب ذي انشراح مثلج
ولسوف يروى منه كأسا سائغا	أصفي وأحلى من كؤوس السعمعج
قمن جدير أن يرى علماؤنا	عنقا لبحر العلم فهو به حج
أحج بأن نحجو لديه ونرتوي	من بحر شيخ في العلوم ملجج
شيخ الشيوخ فريد دهر ظاهر	فوق المبارز بالعلوم متوج

دينا حنيفا مستقيم المنهج	جبريل من جبر الإله به لنا
والدين في وهد كشيء بهرج	وافى وحزب ضلالة في تلمعة
عاداتهم وكساه حلة زبرج	فأزاح عنه حنادس الأعلاج من
مستهزئ أو لائم متمجمج	لم يخش في إظهار دين الله من
والشبل عند السبر مثل الخزرج	وله شبول نائبون منابه
أو ساعدا في فتح باب مرتج	فغدا له نور الزمان مساعدا
لم يلتقت لمكذب متلجلج	إظهار دين الله بين عدوه
فأزاح عنا كل أسواد دجدج	عثمان من قد جاءنا في ظلمة
في ذلك لومة لائم أو فجفج	ودعا إلى دين الإله ولم يخف
وعلا له صيت فويق الأبرج	فإنصات خلق حين صات لصوته
سودان في هذا الزمان المبهج	بشرى لأمة أحمد ببلادنا ال
أخمدتها جمرا ذكي بتأجج	كم سنة أحييتها وضلالة
وتخالفت سنن النبي الأبهج	وظلعت في أرض عواندها عدت
وصدت دوين الدين باب الولوج	استعظمتها أهلها فاستأسدت
جرذانها ترمي بنصل سلمج	فاستسرت بغثانها وتتمرت
فقمعتها قمع القوي الأعوج	من أراد دين الله يمحو عزها
وأسنة السنن النبي الأذعج	فقصمتها بالبييض من آياته
عذبات غصن في الرياض خبريج	صلى عليه الله ما هز الصبا
وقضية عاصت علي تتفج	ولكل فرعون طغى موسى سطا
واسود وجه الكفر بعد تبلج	فابيض وجه الدين بعد محافه
والكفر في ذل ونهج منهج	والدين في عز ونهج منهج
والبدعة السوداء ليل يدجي	والسنة الغراء صبح ينجلي
والدين في درع يميمس مدبج	طمست معالمها وأخلق ثوبها
عين الحياة تذلل ماء الحشرج	وتفجرت للدين من بركاته

فجرى المذانب للمشارب أفهقت	ماء يقول صفاؤه هل من يج
حتى تبرج مثل بدر طالع	بليال صحو أو صباح مبلج
أو روضة ضحكت بها أزهارها	تزهى بها عذبات غصن عسلج
أو عنقر أو جنة أو أنجم	بخميلة أو ريوه أو حندج
فأجادها جود جدى جود له	هب الصبا من بعد مري الخرج
فتفرعت قضبانها وتساجعت	أطيارها كالشاعر المتتهج
وتكاثفت قصباتها غلبا لها	ضعفان من أكل حبته سلجلج
وتباهجت فتضوعت أرياحها	بضارة مع خضرة وتأرج
وكأنما أنواره بين الملا	أنوار روض أو منائر صولج
وكان رزهم بجمعات لهم	عكر سوام أو ثلال الثوج
حمدا وشكرا للذي قد خصنا	بزمانهم مع حبههم ذا مخرجي
سعد الزمان بهم وزايد خيره	فحبهم غفران ذنبي أرتجي
ويجاه من يرضى غدا بشفاعه	كهف البرايا فهو أعظم ملجج
وهو المسمى أحمدا ومحمدا	مالي سوى شوقي له من كسبج
صلى الإله عليه ما نشر الصبا	ريا رياض أوزرت بينفسج
وعلى الصحابة كلهم مع تابع	لهم بإحسان ليوم المخرج

سأركز في دراستي على مسائل علم البيان نظراً للفرصة المتاحة لنا في مثل هذه الأوراق البحثية غير أنني أشير بأنه ما من بيت من أبيات هذه القصيدة إلا وتجد شاهداً على علم المعاني أو علم البديع وذلك لمن تأمل القصيدة تأملاً دقيقاً. وعلم البيان المقصود بالدراسة هو ذلك الذي يعرف بـ(إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه)<sup>14</sup>.

<sup>14</sup> الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2004م، ص187.

ويستقبلنا في علم البيان باب التشبيه المكون من أربعة عناصر رئيسية هي المشبه والمشبه به ويسميان طرفي التشبيه والأداة ووجه الشبه؛ ويقصد بالتشبيه اشتراك شيئين فأكثر في صفةٍ أو صفاتٍ متماثلة أو بيان وجود صفة أو أكثر في المشبه مُشابهةً لما يَظْهَرُ من صفاتٍ في المشبه به، ويعرفه البلاغيون بأنه: (دلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى)<sup>15</sup>، وهذه المشاركة تكون بإحدى أدوات التشبيه التي هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة. يقع التشبيه على عدة صور منها ما يسمى بالمفصل والمجمل والبليغ والتمثل والضمني إلخ. وردت مجموعة من هذه الأنواع المذكورة في القصيدة على النحو الآتي:

أولاً: التشبيه المفصل هو ما ذكر منه وجه الشبه وورد هذا النوع في عدة أماكن من القصيدة أذكر على سبيل المثال قوله :

وججاجح علماء يحلب رفدهم كل كبحر في العطا متموج

فوجه الشبه هنا "العطاء" المحذوف منه الهمزة للضرورة الشعرية، شبه الشاعر علماء بلاده الكرماء بالبحر المتموج في كثرة مائه أي إنهم من كرام الناس يعطون الغالي والنفيس ويبسطون أيديهم للمحتاجين؛ ثم يؤكد لنا هذا المعنى في موضع آخر بلطفة نحوية عقد صورتها من المصطلحات النحوية تنشيطاً لأذهان الدارسين على غرار ما فعله الحريري في مقاماته من أدباء العربية وتأسياً بأبي يعقوب إبراهيم الكانمي من الشعراء الإفريقية، وذلك في قوله:

ولهم ككان ومبتدأ في جارهم عمل لغير هم كلم أو في يج

يشتمل هذا البيت على تشبيهات ثلاثة؛ شبه أعمالهم الرفيعة في جيرانهم بـ(كان والمبتدأ ولم الجازمة للفعل المضارع) أي: إنهم يرفعون شأن جيرانهم ومن كان له صلة بهم رفع تعظيم وإجلال، فهم من الذين يؤثرون غيرهم على أنفسهم. وفي موضع آخر أخذ يتحدث عن أعوان الشيخ جبريل الذين وقفوا معه موقف الحزم في الدعوة إلى دين الله فقال:

<sup>15</sup> القزويني، المرجع السابق ص 189.

وله شبول نائبون منابه والشبل عند السير مثل الخرز  
ويقصد بالشبل؛ صغير الأسد والخرز كبيره. أي: إن للشيخ جبريل الداعي  
إلى دين الله في بلاده أعوان وأنصار؛ هم في وقت الشدة شبول شجاعة وإقداماً.  
ثانياً: التشبيه المجمل، فهو ما حذف فيه وجه الشبه؛ ووجه الشبه المحذوف قد  
يكون واضحاً ظاهراً، وقد يكون دقيقاً خفياً يحتاج في إدراكه إلى تفكير وتأمل،  
وعندئذ يجب أن يذكر في العبارة ما يرشد إليه. ورد التشبيه المجمل في قوله وهو يصف  
حالة الدين قبل قيام الشيخ جبريل والشيخ عثمان بن فودي بالدعوة إلى الله قائلاً:  
وافى وحزب ضلالة في تلعة والدين في وهد كشيء بهرج  
وذلك في قوله:

جبريل من جبر الإله به لنا دينا حنيفا مستقيم المنهج  
وافى وحزب ضلالة في تلعة والدين في وهد كشيء بهرج  
فأزاح عنه حنادس الأعلاج من عاداتهم وكساه حلة زبرج  
لم يخش في إظهار دين الله من مستهزئ أو لائم متمجمج  
أي: جاء الشيخ جبريل في وقت طغيان الضلالة والغواية في البلاد، غير أنه  
استطاع بدعوته الإصلاحية أن يعيد للدين مكانته السامية ولم يخش في إظهار  
دين الله لومة لائم.

ثالثاً: نوع آخر من أنواع التشبيه وهو كثير المجرى في أفئدة الناس ما يسمى  
بالتشبيه البليغ؛ وهو تشبيه حذف فيه الأداة ووجه الشبه في ادعاء أن المشبه هو  
ذاته المشبه به. سمي هذا النوع من التشبيه بليغاً لبلوغه نهاية الحسن في القوة  
والمبالغة حتى خيل إلى المخاطب أن المشبه هو نفسه المشبه به ادعاء ومبالغة  
وأمثلة ذلك مستنبط من قوله وهو يصف الشيخ جبريل قائلاً بأنه شمس ساطع نور  
الله به البلاد الذي كان في ظلمة وفساد من أمرها:

شمس الضحى بزغت بغرب فانتحت للشرق تشرق في قريش وخرزج  
حيث شبه جبريل رحمه الله بشمس الضحى وحذف المشبه به والأداة. وذلك في قوله:  
من قد سبا قلبي فتاه بحبه فتوى لديه فلا أسير ولا يجي

شمس الضحى بزغت بغرب فانتحت  
متفنن متبحر في علمه  
للمسلمين ومزدر للعمهج  
شجر إذا نزلت عليه سفنة  
للمشرق تشرق في قریش وخزرج  
متعطف متلطف للمعفج  
لم تر تحل عنه لفقْد الخرفج  
ففي البيت الأخير تشبيهه بليغ شبه الشاعر شيخه بالشجرة المثمرة كرمًا وعتاءً  
والتي نزلت عليها طيور جائعة فوجدت من طعامها ما تكفيها، أي إن كل من  
يقصده بحاجة لا ينصرف إلا مقضياً عليه حاجته. وأخيراً، قوله:

والسنة الغراء صبح ينجلي  
والبدعة السوداء ليل يدجي  
في هذا البيت شبه الشاعر السنن الدينية التي أحيها الشيخ عثمان بين الناس  
بالصبح ضياء ووضاحة بعد أن كانت خفية مظلمة، وكذا تحدث عن البدع  
والخرافات بظلمة الليل في سواده. وينقسم التشبيه أيضاً مرة أخرى إلى تمثيلي وضمني:  
رابعاً: التشبيه التمثيلي، يقول الخطيب القزويني في تعريفه (ما وجهه وصف منتزع  
من متعدد أمرين أو أمور)<sup>16</sup>. فهذا تعريف جامع وهو مذهب لجمهور البلاغيين،  
ويقول عبد العزيز عتيق: (ولا يشترطون فيه غير تركيب الصورة، سواء أكانت  
العناصر التي تتألف منها صورته أو تركيبه حسية أو معنوية)<sup>17</sup>. وكلما كانت  
عناصر الصورة التي منها يتألف التشبيه مركباً من عدة أمور حسية أو معنوية  
كان التشبيه أبعد وأبلغ، كقول أحدهم:

وتراه في ظلم الوغى فتخاله  
قمرًا يكرّ على الرجال بكوكب  
فالمشبه هنا هو صورة الممدوح أي: (الفارس الذي بيده سيف لا مع يشق به ظلام  
غبار الحرب، والمشبه به صورة قمر يشق ظلمة الفضاء ويتصل به كوكب  
مضيء ووجه الشبه هو الصورة المركبة من ظهور شيء مضيء يلوح بشيء  
متألك في وسط الظلام)<sup>18</sup>.

<sup>16</sup> القزويني، المرجع السابق، ص216.

<sup>17</sup> عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م، ص85.

<sup>18</sup> المرجع السابق، ص86.

ورد في القصيدة من تشبيه التمثيل قوله وهو يصف الدين بعد ظهور المصلحين:

والدين في عز ونهج منهج	والكفر في ذل ونهج منهج
والسنة الغراء صبح ينجلي	والبدعة السوداء ليل يدجي
طمست معالمها وأخلق ثوبها	والدين في درع يميز مدبج
وتفجرت للدين من بركاته	عين الحياة تذل ماء الحشرج
فجرى المذانب للمشارب أفهقت	ماء يقول صفاؤه هل من يج
حتى تبرج مثل بدر طالع	بليال صحو أو صباح مبلج
أو روضة ضحكت بها أزهارها	تزهي بها عذبات غصن عسلج
أو عنقر أو جنة أو أنجم	بخميلة أو ريوة أو حندج
حتى تبرج مثل بدر طالع	بليال صحو أو صباح مبلج

إنه شبه الدين في عزته و منعته بأمور متعددة منها: البدر الطالع أو ليال صحو أو صباح مشرق منير أو بروضة أشجار أو جنة من أنجم، وهو في كل ذلك يعقد التشبيه في أمور متعددة عناصرها.

العنصر الثاني: المجاز وهو نوع من أنواع طرق التعبير عن معنى واحد بطرق مختلفة وهو في اللغة من الجواز وهو التعدي من قولهم: (جزت موضع كذا، إذا تعديته، سمي به المجاز لأنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً)<sup>19</sup>، وأما في الاصطلاح هو: (اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مانعة من إرادة المعنى الوضعي)<sup>20</sup> وينقسم المجاز إلى مجاز لغوي ومجاز عقلي كما هو موضح في كتب البلاغة العربية. ورد في القصيدة ما يسمى بالمجاز المرسل قوله:

عج نحو أضواج الأحبة من مج	واشرب من الأتساج ماء الزعبيج
ثج الدموع على منازلهم بها	واشف الجنان من الهموم الدمج
قف عندها سل من بها فعسى تجب	حوجاء أو لوجاء ترضي من شجي
وإذا مررت مرت حي حيمهم	واتشر عليهم لؤلؤاً وزبرج

<sup>19</sup> أحمد بن مصطفى المراغي، البيان، المعاني والبديع، المكتبة العربية، بيروت، بدون ت، ص248.

<sup>20</sup> أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العربية، بيروت، ت بدون، ص241.

ذكر المنازل وأمر بثج الدموع عليها، ثم أمر بالتحية على أحياء الأحبّة مجازاً أي: أطلق المحل وأراد أهله الموجودين في المنازل والأحياء. وفي موضع آخر يقول:

وججاج علماء يحلب رفدهم      كل كبحر في العطا متموج

نلاحظ استخدام فعل: "يحلب" في غير موضعه الأصلي ليبدل على الكرم والسخاء والقرينة المانعة لإرادة المعنى الأصلي هو قوله "رفدهم" وكذلك نجد كلمة "بحر" في قوله "كل كبحر في العطاء" استعملت مجازاً للدلالة على الكرم بقرينة قوله: "في العطاء". ومنه قوله:

من قد سبى قلبي فتاه بحبه      فنوى لدية فلا أسير ولا يج

استعمال الفعل "سبا" مجازاً ومعناه الأصلي: هو الأسر وأريد به هنا: أحب أي: من أحبه قلبي والقرينة قوله: "قلبي"، وكذلك في قوله:

شمس الضحى بزغت بغرب فانتحت      للشرق تشرق في قريش وخروج

كلمة "شمس" هنا استخدمت كذلك مجازاً لأن معناها في الحقيقي كوكب من الكواكب السيارة التي تظهر صباحاً وتختفي والعلاقة: "بزغت بغرب" أي من جهة الغرب. وكذلك في قوله:

كم سنة أحبيتها وضلالة أخدمتها      أخدمتها جمراً ذكي بتأجج

استعمل الكلمتين "أحبيتها" و"أخدمتها"، مجازاً لأن الأصل في الإحياء للموتى والإخماد للنار والقرينة هي قوله "سنة" و"ضلالة".

العنصر الثالث: الاستعارة وهي من أهم أبواب علم البيان وتعني في اللغة (رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، يقال استعار فلان سهماً من كنانته: رفعه وحولّه منها إلى يده. وعلى هذا يصح أن يقال استعار إنسان من آخر شيئاً، بمعنى أن الشيء المستعار قد انتقل من يد المعير إلى المستعير للانتفاع به. ومن ذلك يفهم ضمناً أن عملية الاستعارة لا تتم إلا بين متعارفين تجمع بينهما صلة ما)<sup>21</sup>.

<sup>21</sup> عبد العزيز العتيق، البيان والمعاني والبديع، مرجع سبق ذكره، ص167.



أما في الاصطلاح، فقد عرفها البلاغيون بتعريفات كثيرة منها: (الاستعارة هي ما كانت علاقته تشبيهه معناه بما وضع له)<sup>22</sup>. وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني: (الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدلّ الشواهد على أنه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية)<sup>23</sup>. هذه التعريفات تكاد تتفق في: أن الاستعارة: ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه، وتطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه، فيسمى المشبه به مستعاراً منه، والمشبه مستعاراً له، واللفظ مستعاراً. وصنف البلاغيون الاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها إلى: استعارة تصريحية ومكنية. والاستعارة التصريحية: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه. وذلك مثل قول المتنبي وهو يصف دخول سفير ملك الروم على سيف الدولة:

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

في هذا البيت، شبه سيف الدولة بالبحر في العطاء ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البحر والمقصود به سيف الدولة على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي هي "فأقبل يمشي في البساط". ورد هذا النوع من الاستعارة في القصيدة عند وصفه لشيخ جبريل بالشمس قائلاً:

شمس الضحى بزغت بغرب فانتحت للشرق تشرق في قریش وخزرج

شبه الممدوح بالشمس والمقصود به: الشيخ جبريل حيث حذف المشبه، وذكر المشبه به وهو "شمس الضحى" على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي هو قوله "بزغت بغرب فانتحت للشرق" والمقصود بالغرب: بلاد السودان؛ ومعنى البيت: إن ظهور جبريل في هذا الزمان، يشبه بزوغ الشمس في الوضوح لأن الناس كانوا يعيشون في ظلام وضلال وبُعدٍ عن الدين والمنهج الصحيح. وكذلك في قوله حين يصف كرمه وعطائه قائلاً:

<sup>22</sup> القزويني، الإيضاح، مرجع سبق ذكره، ص 200.

<sup>23</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، المكتبة التوفيقية، بدون ت، ص 22.

شجر إذا نزلت عليه سفنة  
لم ترتحل عنه لفقد الخرفج

شبه الشيخ بالشجرة التي عليها طعام للطيور (كناية عن كثرة علمه وكرمه لمن كان يقصده) حيث حذف المشبه وهو الشيخ جبريل، وذكر المشبه به: شجر على سبيل الاستعارة التصريحية، وترك شيئاً من لوازمه يدل على المحذوف وهو: "الخرفج" أي ما تأكله الطيور النازلة على الشجرة المثمرة. وكذلك في قوله:

فعدا له نور الزمان مساعداً  
أو ساعداً في فتح باب مرتج

شبه الممدوح الثاني، الشيخ عثمان بن فودي بالنور وذكره على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة التي تمنع إرادة المعنى الأصلي هو قوله "مساعداً أو ساعداً" في فتح باب مرتج" أي أصبح الشيخ عثمان مساعداً لشيخه جبريل في إصلاح الدين وساعده الأيمن في الدعوة إلى الله. وأما الاستعارة المكنية، فهي ما حذف فيها المشبه به أو المستعار منه، ورمز له بشيء من لوازمه. ورد هذا النوع من الاستعارة في قوله:

وججاج علماء يحلب رفدهم  
كبحر في العطا متموج

وردت الاستعارة في قوله "يحلب رفدهم" حيث شبه الشاعر العلماء بدابة حلوب درت ضرعها لبناً، وحذف المشبه به وهي الدابة الحلوب، وذكر المشبه وهو ضمير الجمع في "رفدهم". وترك شيئاً يدل على المحذوف وهو "يحلب" على سبيل الاستعارة المكنية. وكذلك في قوله:

من قد سبى قلبي فتاه بحبه  
فتوى لدية فلا أسير ولا يج

حيث شبه الشاعر حالة شوقه إلى الممدوح بالأسر وحذف فيه المشبه به وهو محل الأسر وترك ما يدل على المحذوف وهو الفعل "سبى" التي تعني أسَرَ. وكما ذكر المشبه وهو "مَنْ" الموصولية أي شيخه. وشبه القلب بالإنسان الذي يقيم في مكان ثم ينتقل إلى مكان آخر ثم حذف المشبه به وهو الإنسان وترك ما يدل على المحذوف وهو الفعل "ثوى" أي أقام واستقر وذكر المشبه وهو "قلبي" على وجه الاستعارة المكنية. وفي موضع آخر بين جهود أخيه عثمان في الدعوة إلى الله وذكر إحياءه للسنة النبوية بين الناس ومحاربتة للبدع والخرفات في الدين قائلاً:

### كم سنة أحييتها وضلالة أخدمتها جمراً ذكى بتأجج

شبه تجديد السنة بالإحياء بجامع تأكيد الوجود في كل، ثم حذف لفظ المشبه وهو تجديد، وأقيم لفظ المشبه به الإحياء مقامه، ثم اشتق من الإحياء أحياء، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية أي: شبه الشاعر السنة بالإنسان وحذف المشبه به وهو الإنسان وذكر المشبه وهو السنة، وترك شيئاً من لوازمه وهو الحياة في قوله "أحييتها" على سبيل الاستعارة المكنية، ثم شبه الضلالة بالنار الخامدة وحذف المشبه به وهي النار وذكر المشبه به "الضلالة" وترك شيئاً يدل على المحذوف في قوله "أخدمتها جمراً" على سبيل الاستعارة المكنية. وفي موضع آخر نجد قوله:

فابيض وجه الدين بعد محاقه      واسود وجه الكفر بعد تبلج

حيث شبه الدين بالإنسان الجميل وجهه و حذف المشبه به (الإنسان) وذكر المشبه وهو الدين وترك شيئاً يدل على المحذوف هو "بياض الوجه" على سبيل الاستعارة المكنية وفي كذلك شبه الكفر بالإنسان المسود وجهه وحذف المشبه به وهو وذكر شيئاً من لوازمه يدل على المحذوف وهو "سواد الوجه" على سبيل الاستعارة المكنية. أي: عظم أمر الدين ووضح مناهجه ومقاصده للناس واختفى أثر الكفر. ونقرأ في نفس السياق وهو يتحدث عن الشيخين في قوله:

سعد الزمان بهم وزايد خيره      فبحبهم غفران ذنبي أرتجي

شبه الزمان بالإنسان وحذف المشبه به وهو (الإنسان) وترك المشبه وذكر شيئاً يدل على المحذوف وهي السعادة في قوله "سعد الزمان بهم" على سبيل الاستعارة المكنية. أي سعد الناس بظهورهم في هذا الزمان وبجهودهم المباركة في نصره الدين. العنصر الرابع: الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه الأصلي كقولك فلانة نؤوم الضحى، ولا يمتنع أن يراد مع ذلك النوم في الضحى من غير تأويل. وتنقسم الكناية بحسب المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام: كناية عن صفة وكناية عن موصوف، وكناية عن نسبة. ومن النوع الأول قوله:

ثج الدموع على منازلهم بها      واشف الجنان من الهموم الدمج

فقوله: "ثج الدموع" و"اشف الجنان" في هذا البيت، كناية عن الحزن والتحسر. ومنه قوله:

وإدع دلاص العزم فوق قلاصه بمزاد صبر في الموامي متلج.  
 "وإدع دلاص العزم" كناية عن صفة وهي إخلاص النية مع شدة العزم في الاستعداد لزيارة الممدوح في "مج". ومن النوع الثاني قوله:  
 عج نحو أضواج الأحبة من مج واشرب من الأنشاج ماء الزعيج  
 فقوله: "أضواج الأحبة" في صدر البيت، كناية عن واد اسمه مج. وكذلك في قوله:  
 بزيارة اللذ زار طيبة بعد أن قد زار مكة في وفود الحجج  
 فكلمة "طيبة" كناية عن المدينة المنورة باعتبار اسمها القديم قبل الهجرة، أي: زار  
 الشيخ جبريل مكة المكرمة حاجاً ثم أتم رحلته بزيارة المدينة المنورة. وكذلك في  
 قوله مادحاً الشيخ جبريل:

متقنن متبحر في علمه متعطف متلطف للمعجج  
 سجح طليق الوجه هين لين للمسلمين ومزدر للعمهج  
 شجر إذا نزلت عليه سفنة لم ترتحل عنه لفقد الخرفج  
 فترى أن جميع الصفات "متقنن" "متبحر" "متعطف" "متلطف" "سجح طليق الوجه"  
 "هين" "لين للمسلمين" و"مزدر للعمهج" "شجر" ترجع إلى ممدوح واحد وهو الشيخ  
 جبريل. وقوله أيضاً:

عثمان من قد جاعنا في ظلمة فأزاح عنا كل أسود ددج  
 قوله "أسود ددج"، كناية عن البدع والضلالات، أي أصلح الدين وجرده من  
 البدع والخرفات التي كانت شائعة آنذاك في بلاد السودان. وكذا في قوله:  
 ولكل فرعون طغى موسى سطا وقضية عاصت علي تنفج  
 فكلمة "فرعون" كناية عن كل طاغية في الأرض يسد السبيل إلى دين الله. ومنه قوله:  
 بشرى لأمة أحمد ببلادنا السودان في هذا الزمان المبهج  
 ف"أمة أحمد" كناية عن المسلمين.

### الخاتمة

أثبتت هذه الدراسة إمكانية إجراء المقارنة بين الأدب العربي والأدب الإفريقي المكتوب باللغة العربية أخذاً برأي المدرسة الأمريكية المقارنة، وذلك بغية تمتين العلاقات العلمية والثقافية بين الشعبين؛ العربي والإفريقي. الشعر العربي الإفريقي

شعر حديث النشأة غير أنه معزول في البيئات الإفريقية لا يعرفه كثير من الأدباء، وهو شعر يستمد صورته وألوانه من المقررات العربية والإسلامية التي وصلت في أعماق القارة الإفريقية منذ عصر الفتوحات الإسلامية الأولى.

يتفاوت توفر العناصر الجمالية في الشعر العربي الإفريقي من شاعر لآخر ومن بيئة لأخرى ولهذا يمكن أن نقول بأن القصيدة التي تم دراستها قصيدة تامة بناؤها توفرت فيها العناصر العلمية والفنية. أراد الشاعر في قصيدته أن يزود المتلقي بجميع العناصر العلمية المتعلقة بعلم البلاغة العربية فنجح في ذلك نجاحاً باهراً؛ هذه المسائل التي أشرنا إليها في علم البيان تثبت وجود نظائرها في علم المعاني وعلم البديع.

وأما ما يتعلق بالعناصر الفنية فيمكن أن نشير إلى بعضها مثل: جزالة ألفاظها وعمق معانيها بالإضافة إلى نوعية مطلعها الطللية المشتمل على براعة استهلالها وحسن التخلص والخاتمة. ويمكن أن نضيف إلى ذلك عنصراً آخر جد مهم؛ قائلاً بأنه، لما كانت القصيدة في غرض المدح كانت العاطفة و الشعور والشوق إلى الممدوح ظاهراً ملموساً فيها لذا لم يضعف شعور الشاعر وانفعالاته من أول القصيدة إلى آخرها. تفتقد القصيدة بما يسمى بالوحدة العضوية كما هو الشأن في قصائد شعراء العصر الجاهلي لأنه وضعها على منوال تلك القصائد؛ وتضمنت القصيدة ألوانا من الحكم والأمثال والمصطلحات الإسلامية وهو ما يدل على سعة ثقافة الشاعر؛ فلا غرو في ذلك إذ هو وزير أمير الدولة في سكوتو وشيخ شيوخها. هذا ما أردت، ولعلنا أن نجد مناسبة أخرى لنقدم لقرأ الآداب في العالم العربي والإسلامي ما يتعلق بالأدب العربي الإفريقي.



## المراجع

- أحمد تابوي، مختارات من الأدب التشادي باللغة العربية، منشورات ندوة كتاب التشاديين، أنجامينا، 2009.
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ.
- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2004م.
- أحمد بن مصطفى المراغي، البيان المعاني البديع، المكتبة العربية، بيروت، بدون تاريخ.
- أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العربية، بيروت.
- طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، 1991م.
- أحمد الطاهر مكي، الأدب المقارن، منشورات كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، بدون تاريخ.
- عبد العزيز العتيق، البيان والمعاني والبديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- عمر محمد بوي، توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات، بدون تاريخ.
- عمران كبا، الشعر العربي في غرب إفريقيا، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 2011م.

